أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأثره في المعنى عند المفسرين

دكتور

عبدالرحمن عبدالله سرور الجرمان

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

كلية التربية الأساسية

الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب

الكويت

الملخص

يعنى هذا البحث بدراسة أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأثره في المعنى عند المفسرين واستخراج أغراضه البلاغية وأسراره البيانية.

وقد تم تقسيمه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة ثم فهرس للمراجع والمصادر.

المقدمة فيها حدود البحث وأهدافه والدراسات السابقة وصعوبات البحث وخطة البحث ومنهج الباحث، والمبحث الأول: تعريف الالتفات وأغراضه وشروطه، والمبحث الثاني: أنواع الالتفات في القرآن الكريم، ثم الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وأبرز النتائج:

١. أسلوب الالتفات يختزل معاني عظيمة في التحويل بين الضمائر.

٢. أسلوب الالتفات في القرآن الكريم من الأساليب البلاغية التي تدل على روعة بلاغته وإعجازه.

٣. أسلوب الالتفات موجود بكثرة في القرآن الكريم.

٤. نوعين من أنواع الالتفات يندر وجودهما في القرآن الكريم، بل ينعدم وجودهما عند بعض العلماء وهما: الالتفات من التكلم إلى الخطاب وعكسه؛ نظراً للتباين التام بين موقفي التكلم والخطاب، فيبعد أن يكون الواحد متكلماً ومخاطباً في نفس الوقت.

٥. تشترك كل مواضع الالتفات في القرآن الكريم بالغرض البلاغي العام.

٦. يختص كل موضع من مواضع الالتفات في القرآن الكريم بغرض بلاغي خاص به.

٧. قد يكون للموضع الواحد من مواضع الالتفات أكثر من غرض بلاغي خاص.

٨. الأغراض البلاغية الخاصة للالتفات في القرآن الكريم موضع اجتهاد بين أهل العلم، فقد يتبين لأحدهم ما لا يتبين للآخر، والمجال لا يزال مفتوحاً لاستخراج أغراض بلاغية خاصة جديدة لمواضع الالتفات في القرآن الكريم.

٩. السياق ركيزة أساسية لمعرفة الأغراض البلاغية الخاصة للالتفات في الآيات القرآنية الكريمة واللغة العربية.

١٠.من أكثر المفسرين اهتماماً ببيان الأغراض البلاغية للالتفات: جار الله الزمخشري، وأبو حيان الأندلسي، والسمين الحلبي، وأبو السعود العمادي، ومحمد الشوكاني، ومحمود الألوسي، والطاهر ابن عاشور – رحمهم الله تعالى–.

ويوصي الباحث بضرورة العناية ببلاغة أساليب القرآن الكريم بحثاً ودراسة واستخراجاً لأغراضها وأسرارها البيانية، فلا يزال المجال مفتوحاً، وكم ترك الأول للآخر.

الكلمات الدلالية: التفات – بلاغة – القرآن الكريم.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم تحدى العرب بالإتيان بمثله بكل ما تحمله المثلية من معنى، مثله في الهداية، ومثله في التشريعات، ومثله في البلاغة والفصاحة والنظم، ومثله في الحقائق العلمية، ومثله بالأخبار الغيبية، ومثله في التأثير على القلوب والجوارح، قال الله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤)} [الطور: ٣٣-٣٤]، ولم يكتفِ القرآن بتحديهم وحدهم بالإتيان بمثله، بل تحدى معهم الجن، فلو تظاهروا جميعاً (الإنس والجن) على الإتيان بمثله لن يأتوا بمثله، قال الله تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)} [الإسراء: ٨٨]، ثم تنزل معهم في التحدي إلى الإتيان بعشر سور مثله، فقال تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [هود : ١٣]، ثم تنزل معهم في التحدي إلى الإتيان بسورة واحدة من مثله، فقال تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [يونس : ٣٨]، ومع كل ذلك عجزوا ولم يستطيعوا.

وإن بلاغة القرآن العظيم وبديع نظمه من أجلى مظاهر إعجازه، وألوان بلاغته كثيرة، وصور بداعته عديدة، وأسلوب الالتفات في القرآن الكريم

لون من ألوان بلاغته التي هم أم إعجازه؛ لأنه نوع من أنواع مخالفة مقتضى الظاهر لغرض وفائدة بلاغية، وهو من أكثر الأساليب البلاغية استخداماً وشيوعاً في القرآن الكريم.

قال ضياء الدين ابن الأثير –رحمه الله–: (العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطّلع على أسرارهما، وفتَّش عن دفائنهما، ولا تجد ذلك في كل كلام، فإنه من أشكل ضروب علم البيان، وأدقها فهماً، وأعمقها طريقاً)[1].

وقال يحيى العلوي –رحمه الله–: (اعلم أن الالتفات من أجلِّ علوم البلاغة وهو أمير جنودها، والواسطة في قلائدها وعقودها)[2].

قال ابن عاشور –رحمه الله–: (نرى من أفانين الكلام الالتفات وهو نقل الكلام من أحد طرق التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى طريق آخر منها. وهو بمجرده معدود من الفصاحة، وسماه ابن جني شجاعة العربية لأن ذلك التغيير يجدد نشاط السامع فإذا انضم إليه اعتبار لطيف يناسب الانتقال إلى ما انتقل إليه صار من أفانين البلاغة وكان معدودا عند بلغاء العرب من النفائس، وقد جاء منه في القرآن ما لا يحصى كثرة مع دقة المناسبة في الانتقال)[3].

وقد رغبت بدراسة موجزة لموضوع الالتفات في القرآن الكريم والتأمل في أغراضه البلاغية وأسراره البيانية للكشف عن جانب من جوانب

---

(1) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ١٢/٢.

(2) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم وحقائق الإعجاز ١٣١/٢.

(3) التحرير والتنوير ١٠٩/١.

إعجاز القرآن الكريم البلاغي.

* موضوع البحث:

موضوع البحث هو دراسة لأسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأغراضه البلاغية.

* حدود البحث وأهدافه:

حدود البحث هي الآيات القرآنية التي ورد فيها أسلوب الالتفات، ويهدف البحث إلى تسليط الضوء على الأغراض البلاغية لأسلوب الالتفات في الآيات القرآنية، وكشف لون من ألوان الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم.

* الدراسات السابقة:

لقد اهتمت كتب البلاغة العربية بموضوع الالتفات حيث إنه من أروع الأساليب البلاغية في هذه اللغة العظيمة، فلا يكاد يخلو كتاباً من كتب البلاغة من هذا الموضوع والتمثيل لكل نوع من أنواعه بمثال واحد غالبا من القرآن الكريم، وقد أفرده بعض المعاصرين بالتأليف مثل د. حسن طبل في كتابه: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، و د. مازن موفق الخير في كتابه: الإعجاز البلاغي في الخطاب القرآني (الالتفات أنموذجاً)، ولكني أرى أنهما توسّعا في مفهوم الالتفات بخلاف ما استقر عليه رأي جمهور البلاغيين كما سيأتي في تعريف الالتفات في المبحث الأول، وإني أرى أن هذا الموضوع يسع للكتابات الكثيرة فيه؛ لأن الأغراض البلاغية والأسرار البيانية للالتفات محل اجتهاد تقوم على التدبر والتأمل في السياق، وليست نصوصاً ثابتة لا يمكن التجديد فيها، فقد يقتنص باحث من الأسرار والأغراض البلاغية فيه ما لا يقتنصه آخر، فالقرآن الكريم لا تفنى أسراره، ولا تنتهي روائعه.

من أجل ذلك جاءت هذه الدراسة لتحرير القول في مفهوم الالتفات في

البلاغة العربية والتأمل والتدبر في أمثلتها القرآنية لاستخراج الأغراض البلاغية والأسرار البيانية فيها.

* صعوبات البحث:

من أكثر الصعوبات التي واجهتني أثناء كتابة هذا البحث: اختلاف الباحثين في البلاغة العربية والقرآنية قديماً وحديثاً في مفهوم الالتفات؛ فلا تستطيع خوض غمار أي بحث علمي دون تحديد المفهوم العلمي للموضوع المدروس.

* خطة البحث:

أما الخطة التي وضعتها للبحث فهي على النحو التالي:

مقدمة ومبحثان وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع.

هذه هي المقدمة.

المبحث الأول: تعريف الالتفات وأغراضه وشروطه.

المبحث الثاني: أنواع الالتفات في القرآن الكريم.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

ثم فهرس المصادر والمراجع.

* منهج البحث:

منهج البحث المتبع هو المنهج الوصفي والتحليلي، ويتلخص في النقاط التالية:

١. الوصف النظري لأسلوب الالتفات في القرآن الكريم واللغة العربية من حيث تعريفه ومرادفاته وأغراضه البلاغية وشروطه.

٢. تحليل الآيات القرآنية محل التمثيل لأنواع الالتفات في القرآن الكريم، وبيان الغرض البلاغي والسر البياني من الالتفات فيها.

٣. تفسير الآيات تفسيراً سهلاً بعيداً عن التعقيد، وتطعيم البحث

ببعض أقوال المفسرين حول الآيات المدروسة.

وأخيراً فلا أزعم أن هذا البحث قد خلا من العيب وسلم من النقص؛ فمهما بالغت في تحريره وتهذيبه، لابد من وجود أخطاء وهفوات، فقد أبى الله الكمال لكتاب سوى كتابه الكريم، وما كان في هذا البحث من صواب فهو بتوفيق من الله وفضل، وما كان فيه من خطأ فهو مني وأستغفر الله من كل زلل.

والله وليّ التوفيق،،،

المبحث الأول

تعريف الالتفات وأغراضه وشروطه

*** تعريف الالتفات:**

الالتفات في اللغة:

تدور معاني الالتفات في لغة العرب على صرف الشيء وتحوله عن جهته المستقيمة.

قال ابن فارس: -رحمه الله-: (اللام والفاء والتاء كلمة واحدة تدل على اللَّيِّ وصرف الشيء عن جهته المستقيمة، منه لَفَتُّ الشيء: لَوَيْتُه، و لَفَتُّ فلاناً عن رأيه: صرفته، ... ومنه الالتفات: وهو أن تَعدِل بوجهك)[١].

وجاء في لسان العرب: (لفت وجهه عن القوم: صرفه، والتفت التفاتاً، ... وتلفَّت إلى الشيء والتفتَ إليه: صرف وجهه إليه)[٢].

وقد اختلف البلاغيون في تعريف الالتفات اصطلاحاً:

فذهب جمهور البلاغيين إلى أنه انتقال المتكلم من طريق التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى طريق آخر منها انتقالاً غير ملتزم في الاستعمال[٣].

---

(١) مقاييس اللغة ٢٥٨/٥، وانظر القاموس المحيط باب التاء - فصل اللام ص١٥٩.

(٢) لسان العرب لابن منظور، فصل اللام – حرف التاء، مادة (لفت) ٣٨٩/٢.

(٣) موجز البلاغة لمحمد الطاهر ابن عاشور ص٤٣، وانظر الإيضاح في

واحترز بهذا التعريف عن ما كان ملتزماً في الاستعمال بحسب قياس الكلام: مثل قول القائل: أنا زيد وأنت محمد، أو بحسب الطريقة المتبعة في نظائره مثل: نحن الذين فعلوا كذا وكذا، فإن طريقة العرب في ضمير الموصول أن يعود إليه بطريق الغيبة[1].

وذهب السكاكي –رحمه الله– إلى أنه: التعبير بطريق من الطرق الثلاثة (التكلم والخطاب والغيبة) عما عُبِّرَ عنه بغيره، أو كان مقتضى الظاهر أن يُعَبَّرَ عنه بغيرها منها[2].

وهذا القسم الأخير (أو كان مقتضى الظاهر أن يُعَبَّرَ عنه بغيرها منها) هو ما خالف فيه السكاكي جمهور البلاغيين.

فمثلاً لو قال القائل يخاطب نفسه: ويحك ما صنعت، فإن هذا التفاتاً عند السكاكي لأنه بخلاف مقتضى الظاهر فقد عبَّر عن المتكلم بطريق الخطاب، وكان مقتضى الظاهر أن يقول: ويحي ما صنعت، وهذا لا يعدُّ التفاتاً عند الجمهور؛ لأنه ليس فيه انتقال من طريق من الطرق الثلاثة (التكلم أو الخطاب أو الغيبة) إلى طريق آخر.

فعلى هذا يصح أن يكون الالتفات في أول الكلام عند السكاكي ولا يصح عند الجمهور.

علوم البلاغة للخطيب محمد القزويني ص٨٤، البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد الزركشي ٤٠٥/٣، الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي ١٧٣١/٥، البلاغة العربية لعبدالرحمن حسن الميداني ٤٧٩/١، خصائص التراكيب أ.د. محمد أبو موسى ص٢٥٠.

[1] موجز البلاغة لابن عاشور ص٤٣، وانظر مختصر المعاني لسعد الدين مسعود التفتزاني ص١٢٤.

[2] الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب محمد القزويني ص٨٤.

وكل التفات عند الجمهور التفات عند السكاكي، وليس كل التفات عند السكاكي التفات عند الجمهور[١].

ويأتي ابن الأثير ويوافقه العلوي –رحمهما الله– ويوسعان دائرة الالتفات، فيدخلان فيه الانتقال الزمني بين الأفعال من الماضي أو المضارع أو الأمر إلى أحدها، وكذا الانتقال العددي من خطاب الواحد أو الأثنين أو الجمع إلى أحدها[٢].

يقول العلوي –رحمه الله– عن الالتفات: (معناه في مصطلح علماء البلاغة: هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول، وهذا أحسن من قولنا: هو العدول من غيبة إلى خطاب، ومن خطاب إلى غيبة؛ لأن الأول يعم سائر الالتفاتات كلها، والحد الثاني إنما هو مقصور على الغيبة والخطاب لا غير)[٣].

وقد توسع بعض المعاصرين أيضاً في مفهوم الالتفات[٤].

وسمي الالتفات بهذا الاسم لأن المتكلم ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة كانتقال من خطاب حاضر إلى غائب ونحوها كما ينتقل الملتفت من يمينه

---

[١] انظر الإيضاح ص٨٤.

[٢] انظر المثل السائر لابن الأثير ٣/٢، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمأثور لابن الأثير أيضاً ص١٠١، الطراز ليحيى العلوي ١٣٢/٢.

[٣] الطراز ١٣٢/٢.

[٤] انظر الإعجاز البلاغي في الخطاب القرآني (الالتفات أنموذجاً) للدكتور مازن الخيرو فقد توسّع فيه كتوسّع ابن الأثير والعلوي، والدكتور حسن طبل توسّع في كتابه أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية أكثر مما توسّع به ابن الأثير والعلوي.

إلى شماله ونحو ذلك.[1]

وسأسير في هذا البحث –إن شاء الله– على ما استقر عليه رأي جمهور البلاغيين في الالتفات مع تأكيدي بأن العدول الزمني بين الأفعال والعدول العددي له أغراض بلاغية وأسرار بيانية رائعة أيضاً، ولكنها لا تدخل تحت مفهوم الالتفات عند الجمهور.

* مرادفات الالتفات عند البلاغيين والمفسرين:

يطلق بعض البلاغيين والمفسرين على أسلوب الالتفات عبارات متعددة، منها:

الصرف والانصراف والعدل والعدول والتلوين ومخالفة مقتضى الظاهر وشجاعة العربية.

الصرف والانصراف لأن المتكلم يصرف وينقل الكلام من أسلوب إلى آخر.

والعدل والعدول لأنه يعدل بالكلام وينقله من أسلوب إلى آخر.

والتلوين لأنه ينوع الأساليب المستخدمة بالكلام، فيستخدم أسلوباً مغايراً للأسلوب الأول.

ومخالفة مقتضى الظاهر لأن المتكلم لا يجري الخطاب على ظاهره فيغيّر في أسوبه في آخره بخلاف ما يقتضيه ظاهر أوله.

وشجاعة العربية لأن المتكلم بشجاعته الأدبية استطاع أن يفاجئ المتلقي بالتنقل من طريق لآخر من طرق الكلام الثلاثة (التكلم والخطاب والغيبة) لغرض بلاغي يريد التنبيه عليه.

---

[1] انظر المثل السائر ٣/٢.

*** الأغراض البلاغية للالتفات:**

أسلوب الالتفات في القرآن الكريم واللغة العربية يحقق غرضين بلاغيين:

الأول: غرض عام في كل أنواعه.

والثاني: غرض خاص بكل موضع على حده.

فالغرض البلاغي العام هو التفنن في الكلام وتنويع أسلوبه مما يثير انتباه المتلقي ويبعث على إمتاعه ونشاطه في استقبال الكلام وحسن الانصات والإصغاء له، ويصون السمع عن الضجر والملل والسآمة من الاستمرار على منوال واحد.

قال البيانيون: (إن الكلام إذا جاء على أسلوب واحد وطال حَسُن تغيير الطريقة)[١].

وقال الزمخشري –رحمه الله–: (الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بفوائد)[٢].

ولكل موضع غرض بلاغي خاص به ولطائف تختلف باختلاف محله، قال ضياء الدين ابن الأثير: (الانتقال من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلا لفائدة اقتضته، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من

---

[١] انظر البرهان في علوم القرآن ٤١٩/٣.

[٢] الكشاف ١٠/١، وانظر الفلك الدائر على المثل السائر لابن أبي الحديد ص٢١٠، البرهان في علوم القرآن ٤٠٥/٣، ٤١٩، الاتقان في علوم القرآن ١٧٣١/٥، البلاغة العربية ٤٨١/١.

أسلوب إلى أسلوب غير أنها لا تُحد بحد، ولا تضبط بضابط)[1].

قال الزركشي –رحمه الله– بعد أن ذكر أن للالتفات فوائد عامة وخاصة: (وأما الخاصة فتختلف باختلاف محاله ومواقع الكلام فيه على ما يقصده المتكلم)[2].

والنظر في السياق أصل مهم لمعرفة هذه الأغراض واللطائف الخاصة بكل موضع، قال شيخنا أ. د. محمد أبو موسى –وفقه الله–: (مزيته البلاغية تختلف من أسلوب إلى أسلوب، ولا يمكن أن نضبطه ونحدد مزاياه، والمهم في إدراكه هو حسن التأني وصدق النظر والوعي بسياق الكلام ونوع المعنى)[3].

وستأتي تطبيقات عملية للأغراض البلاغية الخاصة لكل موضع من مواضع الالتفات في القرآن الكريم في المبحث الثاني –إن شاء الله–.

* شروط الالتفات:

يشترط في الالتفات أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى المنتقل عنه، وإلا لزم أن يكون في قول: "أنت صديقي" التفات[4].

واشترط الزمخشري وغيره أن يكون الالتفات في جملتين أي في كلامين

---

(1) المثل السائر ٤/٢.

(2) البرهان في علوم القرآن ٤٢٠/٣.

(3) خصائص التراكيب ص٢٥٩.

(4) انظر البرهان في علوم القرآن ٤٢٦/٣، الاتقان في علوم القرآن ١٧٣٧/٥.

مستقلين حتى يمتنع بين الشرط وجوابه[١]، وقد اعترض الزركشي – رحمه الله– على هذا الشرط، وبيّن أنه وقع في القرآن الكريم التفاتاً في كلام واحد في آيات عديدة، وذكر منها: قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي} [العنكبوت: ٢٣]، وقوله تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} [القصص: ٥٩]، وقوله تعالى: {سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً} [آل عمران: ١٥١]، وغيرها من الآيات[٢].

---

(١) انظر عروس الأفراح للسبكي ٤٤٧/١، البرهان في علوم القرآن ٤٢٦/٣، الاتقان في علوم القرآن ١٧٣٧/٥.

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن ٤٢٦/٣.

المبحث الثاني

أنواع الالتفات في القرآن الكريم

لما كان الالتفات على رأي الجمهور –الذي اعتمدت السير عليه في هذا البحث– هو الانتقال من أحد الأساليب الثلاثة (التكلم أو الخطاب أو الغيبة) إلى آخر منها؛ نخرج بأن أنواعه ستة:

النوع الأول: الانتقال من التكلم إلى الخطاب.

النوع الثاني: الانتقال من التكلم إلى الغيبة.

النوع الثالث: الانتقال من الخطاب إلى التكلم.

النوع الرابع: الانتقال من الخطاب إلى الغيبة.

النوع الخامس: الانتقال من الغيبة إلى التكلم.

النوع السادس: الانتقال من الغيبة إلى الخطاب.

وسأذكر ثلاثة أمثلة لكل نوع مع دراستها وبيان غرضها البلاغي باختصار إلا إذا لم أجد ثلاثة أمثلة فأذكر ما وجدته كما في النوعين الأول والثالث: الانتقال من التكلم إلى الخطاب والعكس، مع التنبيه على أن الغرض البلاغي العام والفائدة العامة لأسلوب الالتفات تنطبق على جميع أمثلته، فينبغي استحضارها عند كل موضع من مواضع الالتفات في القرآن الكريم، ولكني سأذكر الأغراض والفوائد الخاصة لكل موضع على حدة والتي تختلف من موضع لآخر مقتنصاً ذلك من السياق القرآني الكريم لكل موضع، ومسترشداً بما نص عليه المفسرون والبلاغيون.

النوع الأول

الانتقال من التكلم إلى الخطاب

ويقصد بهذا النوع أن يكون السياق جارياً على أسلوب التكلم، ثم يتحول الأسلوب في جملة أخرى إلى الخطاب باستخدام أحد ضمائره كالكاف أو التاء أو غيرهما، فيكون المُتّكلِّمُ عن نفسه في الجملة الأولى مُخاطباً يوجه له الكلام في الجملة الثانية.

وهذا النوع نادر الوجود في القرآن الكريم واللغة العربية، ولعل السبب في ذلك هو التباين التام بين موقفي الخطاب والتكلم؛ ففي الموقف أو السياق الواحد لا يتصور أن يكون الشخص الواحد متكلما ومخاطباً، أو مرسلاً ومستقبلاً في آن واحد، والالتفات لا يتحقق إلا إذا كان الضمير في الملتفت إليه عائداً في نفس الأمر إلى الملتفت عنه [1]، وقد وجدت مثالين فقط في القرآن الكريم قد يصحان لهذا النوع من الالتفات، وهما:

١- قول الله تعالى: {وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٧١) وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٢)} [الأنعام: ٧١-٧٢]:

في بداية هذه الآية القرآنية الكريمة يقول الله تعالى لنبيه الكريم: {قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٧١) وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٢)}، فيأمر نبيه محمداً -صلى الله عليه وسلم- بأن يقول للمشركين: أنعبد من دون الله أوثاناً وأصناماً لا تملك لنا نفعاً ولا ضراً، ونرتد عن الإيمان بالله وعن طريق الحق، بعد أن بين الله لنا سلامة وصحة هذا الطريق، فيكون حالنا كحال الذي أضلّته الشياطين عن الصراط القويم

[1] انظر أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية د. حسن طبل ص١١٦.

فتركته حيران لا يهتدي إلى الحق، وله أصحاب يدعونه لسلوك الطريق المستقيم ولكنه يمتنع عن إجابتهم، ثم يأمر الله تعالى نبيه بأن يقول لهم: إن هدى الله هو الهدى الحق، ثم يأمرهم بالتسليم والانقياد لله تعالى بالتوحيد والطاعة فقال تعالى: {وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، وذكر وصف الربوبية لتعليل الأمر بالتسليم له وتأكيد وجوب الامتثال، ثم يأمرهم بإقامة الصلاة وتقواه وعطف التقوى على الصلاة من باب عطف العام على الخاص، ولكنه هنا حدث التفات من أسلوب التكلم إلى أسلوب الخطاب فقال تعالى: {وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}، وكان مقتضى الظاهر أن يستمر أسلوب التكلم فيقول: (وأمرنا لنسلم لرب العالمين وأن نقيم الصلاة ونتقيه)، ولعل الغرض البلاغي والحكمة في هذا الالتفات –والله أعلم– أن إقامة الصلاة والتزام أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه –حقيقة التقوى– تكون بعد الإيمان والتسليم لله تعالى بالتوحيد، والمؤمن الموحِّد يشرِّفه الله تعالى بالخطاب المباشر إقبالاً عليه وكرامة له، وأيضاً قد يكون توجيه الخطاب من الله تعالى مباشرة للمكلفين بالالتزام بالصلاة والتقوى بسبب أهميتهما وعظم منزلتها في الإسلام؛ فلذلك تولى الله تعالى توجيه الخطاب بنفسه الشريفة، ثم ختم الله تعالى هذه الآية الكريمة بتذكيرهم بيوم الحشر للحساب والجزاء فقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} ليكون ذلك باعثاً لهم على إقامة الصلاة على الوجه الأكمل، وتقوى الله حق التقوى.

وما أجمل ما ذكره فخر الدين الرازي –رحمه الله– عند تفسيره لهذه الآية، حيث قال: (وذلك لأن الكافر ما دام يبقى على كفره كان كالغائب الأجنبي، فلا جرم يخاطب بخطاب الغائبين، فيقال له: {وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، وإذا أسلم وآمن ودخل في الإيمان صار كالقريب الحاضر، فلا

جرم يخاطب بخطاب الحاضرين، ويقال له: {وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}، فالمقصود من ذكر هذين النوعين من الخطاب: التنبيه على الفرق بين حالتي الكفر والإيمان، وتقريره أن الكافر بعيد غائب والمؤمن قريب حاضر –واللَّه أعلم–)[1].

٢– قول الله تعالى عن مؤمن آل ياسين: {قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢)} [يس: ٢٠–٢٢]:

فنجد أن هذا الرجل المؤمن –حبيب النجار– تكلم عن نفسه في معرض مناصحته لنفسه وهو يريد قومه تلطفاً معهم في النصح ومداراة لهم وإعلاماً لهم أنه يريد ويحب لهم مايريد ويحب لنفسه فقال: {وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ} لأن هذا الاستفهام الإنكاري يشعر بأنهم كانوا ينكروا عليه تصديق الرسل وعبادته لله ودعوته لهم إلى عبادة الله فاحتج عليهم بأنه يقبح منه ألا يعبد فاطره ومبدعه، ثم التفت إليهم على طريقة الخطاب فقال: {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} وكان مقتضى الظاهر أن يقول: (وإليه أُرجعُ)، ولكنه التفت في الأسلوب إلى طريقة الخطاب ليبالغ في تحذيرهم وتخويفهم صراحة دون تعريض من عاقبة كفرهم فهم صائرون إلى من يكفرون به وسيجازيهم على سوء صنيعهم، وكأنه يقول لهم:

---

[1] مفاتيح الغيب ٢٣/١٣، وانظر روح المعاني ١٩٠/٧.

كيف لا تعبدون من سترجعون إليه ويعاقبكم على كفركم به[١]؟!

قال أبو السعود العمادي –رحمه الله– عن هذا السياق: (تلطُّفٌ في الإرشاد بإيراده في معرض المناصحة لنفسه وإمحاض النُّصحِ حيثُ أراهم أنَّه اختارَ لهم ما يختارُ لنفسه. والمرادُ تقريعُهم على ترك عبادة خالقِهم إلى عبادةِ غيرِه كما يُنبىء عنه قوله: {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} مبالغةً في التَّهديدِ)[٢].

ويذكر السيوطي –رحمه الله– فائدة أخرى لهذا الالتفات فيقول: (وإنما عدل عن: "وإليه أرجع" إلى {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}؛ لأنه داخل فيهم، ومع ذلك أفاد فائدة حسنة، وهي تنبيههم على أنه مثلهم في وجوب عبادة من إليه الرجوع)[٣].

النوع الثاني

الانتقال من التكلم إلى الغيبة

ويقصد بهذا النوع أن يكون الأسلوب جارياً على لسان المتكلم متحدِّثاً عن نفسه، ثم ينتقل الأسلوب في جملة أخرى إلى ضمير الغيبة باستخدام أحد ضمائرها كالهاء أو الياء أو غيرهما، فيكون المتكلِّمُ مُتَحَدَّثاً عنه بعد أن كان مُتَكَلِّماً.

---

(١) انظر الكشاف ٢٨٣/٣، البحر المحيط ٨٨/١٨، التحرير والتنوير ٣٦٨/٢٢، فتح القدير ٤٧٦/٤، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي ٤٩٩/٤، عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي للشهاب الخفاجي ٢٣٧/٧، المثل السائر ٧/٢، البرهان في علوم القرآن٤٠٦/٣، الإتقان في علوم القرآن ١٧٣١/٥.

(٢) إرشاد العقل السليم ٤٩٩/٤.

(٣) الإتقان في علوم القرآن ١٧٣٢/٥.

وهذا النوع موجود في القرآن الكريم بكثرة، ومن أمثلته:

١- قول الله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ} [البقرة: ٨٣].

ذكر الله تعالى أنه أخذ من مبني إسرائيل الميثاق بأسلوب التكلم: {أَخَذْنَا}، ثم بيّن هذا الميثاق بما بعده: {لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ} وهو خبر بمعنى الأمر، وهو أبلغ من النهي (لما فيه من الاعتناء بشأن المنهي عنه وتأكد طلبه حتى كأنه امتثل وأخبر عنه)[١]، أو (كأنه قيل: لا ينبغي أن تعبدوا غير الله حتى ننهاكم عنه، بل أخبر عنهم أنهم لا يعبدون إلا الله كأنه لم يقع منهم عبادة لغيره أبداً)[٢]، ومقتضى الظاهر أن يقول: (لا تعبدون إلا إيانا)، ولكنه عدل إلى الغيبة بذكر اسم الجلالة لما في اسم الجلالة من الفخامة والتعظيم والدلالة على سائر الصفات واستحقاقه للعبادة والتفرد بالتسمية به ما ليس في المضمر، فيكون ذلك أدعى لامتثال المخاطب للأمر الإلهي بصرف العبادة له دون ما سواه، فلا يعبد إلا الإله الحق، ولا إله حق إلا الله تعالى، وهنا تظهر مناسبة اختيار اسم (الله) من بين أسماء الله الحسنى، فمعناه المألوه والمعبود الحق، وكذلك من الأغراض البلاغية لهذا الالتفات: مناسب مجاورة الاسمِ الظاهرِ (الله) للأسماء الظاهرة بعده؛ فما جاء بعده من أسماء كلها ظاهرة.

قال ابن حيان الأندلسي: (في العدول إلى الاسم الظاهر من الفخامة والدلالة على سائر الصفات والتفرد بالتسمية به ما ليس في

---

[١] حاشية الشهاب ١٩٣/٢، وانظر الكشاف ٧٨/١، البحر المحيط ٢٦٢/٢، أنوار التنزيل ص١٧.

[٢] حاشية الصاوي على الجلالين ٤١/١.

المضمر)[١]، ثم زاد سببا آخر فقال: (ولأن ما جاء بعده من الأسماء إنما هي أسماء ظاهرة، فناسب مجاورة الظاهر الظاهرَ)[٢].

٢- قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [البقرة:١٧٢].

خاطب الله أهل الإيمان في هذه الآية الكريمة بأسلوب التكلم {رَزَقْنَاكُمْ} ممتناً عليهم برزقهم الطيبات، ثم أمرهم بشكره على عظيم نعمه وجليل فضله، والتفت إلى أسلوب الغيبة فقال: {وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}، ومقتضى الظاهر أن يقول: (واشكروا لنا إن كنتم إيانا تعبدون)، ولعل الحكمة في ذلك –والله أعلم– التنبيه على أن الرزق من صفات الربوبية التي تستلزم العبادة والإلهية ولذلك جاء الاسم الظاهر (الله) الدال على الإلهية والعبادة دون (الرب) أو (الرزّاق) أو غيرهما فلا يعبد إلا من يرزق، ولا رازق إلا الله، فلا يستحق العبادة أحد إلا الله، وكذلك للدلالة على وجوب شكر الله على جميع النعم والمنن والتي منها نعمة الرزق، ومن تمام شكر الإله الرازق: الإذعان له بالعبادة والتوحيد[٣].

قال أبو حيان الأندلسي –رحمه الله–: (وحكمة ذلك ظاهرة؛ لأن هذا

---

[١] البحر المحيط ٢٦٣/٢، وانظر الدر المصون ٤٦١/١.

[٢] البحر المحيط ٢٦٣/٢، وانظر الدر المصون ٤٦١/١.

[٣] انظر البحر المحيط ٢٢٠/٣، الدر المصون ٢٣٥/٢، إرشاد العقل السليم ٣٠٢/١، التحرير والتنوير ١٤٤/٢، والحكمة في مجيء الاسم الظاهر (الله) دون ما سواه من أسماء الله الحسنى في معرض الامتنان بالرزق والأمر بشكر هذه النعمة لم أجد من نص عليه وإنما هو محض تأمل وتدبر مني، وهو عرضة للصواب والخطأ –والله أعلم بأسرار كتابه–.

الاسم الظاهر متضمن لجميع الأوصاف التي منها وصف الإنعام والرزق، والشكر ليس على هذا الإذن الخاص، بل يشكر على سائر الإنعامات والامتنانات التي منها هذا الامتنان الخاص)[1].

وقال ابن عاشور –رحمه الله–: (والعدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر لأن في الاسم الظاهر إشعاراً بالإلهية فكأنه يومئ إلى ألا تشكر الأصنام؛ لأنها لم تخلق شيئاً مما على الأرض باعتراف المشركين أنفسهم فلا تستحق شكراً)[2].

٣- قول الله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٧)} [الدخان: ٣-٧].

في هذه الآية الكريمة يتكلم الله تعالى بمعرض الامتنان بإنزال القرآن الكريم على رسوله –صلى الله عليه وسلم– في ليلة القدر وما يقع فيها أيضاً من تقدير الرحمات والنّعم والأرزاق بأسلوب التكلم، ثم بيّن أن كل هذه من مقتضيات رحمة الرب سبحانه وتعالى، ولكنه عند هذا البيان عدل من أسلوب التكلم إلى أسلوب الغيبة فقال: {رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} واختار اسم (الرب)، وكان مقتضى الظاهر أن يقول: (رحمةً منَّا)، ولعل الحكمة –والله أعلم– ليبيّن أن هذه الرحمات للعباد بإرسال الرسل بالكتب من الله تعالى وتقدير النعم في ليلة القدر من مقتضيات الربوبية التي يستحق بها تعالى العبادة دون ما سواه، فلا يستحق أن يُعبد إلا الرب الذي يربي

---

[1] البحر المحيط٣/٢٢٠.

[2] التحرير والتنوير ١٤٤/٢.

عباده بالنعم والرحمات، وكذلك تمهيداً لذكر صفاته العظيمة التي تستلزمها ربوبيته بعد ذكر رحمته: {إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٧)} وذلك لزيادة اليقين باستحقاق هذا الرب العظيم للعبادة وحده لا شريك له.

قال الزمخشري –رحمه الله–: (الأصل "إنا كنا مرسلين رحمة منا"، فوضع الظاهر موضع الضمير إيذاناً بأن الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين)[١].

وقال البيضاوي –رحمه الله–: (أي إنا أنزلنا القرآن لأن من عادتنا إرسال الرسل بالكتب إلى العباد لأجل الرحمة عليهم، ووضع الرب موضع الضمير للإشعار بأن الربوبية اقتضت ذلك فإنه أعظم أنواع التربية)[٢].

وبيّن ابن عاشور –رحمه الله– الحكمة في إضافة الاسم الظاهر (الرب) إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم– فقال: (إضافة {رب} إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم– صرف للكلام عن مواجهة المشركين إلى مواجهة النبي –صلى الله عليه وسلم– بالخطاب؛ لأنه الذي جرى خطابهم بواسطته فهو كحاضر معهم عند توجيه الخطاب إليهم فيصرف وجه الكلام تارة إليه، وهذا لقصد التنويه بشأنه بعد التنويه بشأن الكتاب الذي جاء به)[٣].

النوع الثالث

---

(١) الكشاف ٤٣٠/٣، وانظر التحرير والتنوير ٢٨١/٢٥.

(٢)(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص٦٥٦.

(٣) التحرير والتنوير ٢٨١/٢٥.

الانتقال من الخطاب إلى التكلم

ويقصد بهذا النوع أن يكون السياق جارياً على أسلوب الخطاب باستخدام أحد ضمائره كالكاف أو التاء أو غيرهما، ثم يتحول الأسلوب في جملة أخرى إلى التكلم، فيكون المُخاطَب الذي كان يوجه إليه الكلام في الجملة الأولى مُتَكَلِّماً عن نفسه في الجملة الثانية.

وهذا النوع قال عنه السيوطي –رحمه الله–: (لم يقع في القرآن)[1]، وهو نادر في اللغة العربية، ولعل السبب في ذلك هو التباين التام بين موقفي الخطاب والتكلم؛ ففي الموقف أو السياق الواحد لا يتصور أن يكون الشخص الواحد متكلما ومخاطباً، أو مرسلاً ومستقبلاً في آن واحد، والالتفات لا يتحقق إلا إذا كان الضمير في الملتفت إليه عائداً في نفس الأمر إلى الملتفت عنه[2]

النوع الرابع

الانتقال من الخطاب إلى الغيبة

ويقصد بهذا النوع أن يكون السياق جارياً على أسلوب الخطاب أولاً باستخدام أحد ضمائره كالكاف والتاء أو غيرهما، ثم ينتقل الأسلوب في جملة أخرى إلى ضمير الغيبة باستخدام أحد ضمائرها كالهاء أو الياء أو غيرهما، فيكون المُخاطَب الذي كان حاضراً في السياق أولاً غائباً مُتحدَّثاً عنه آخراً.

وهذا النوع موجود في القرآن الكريم، ومن أمثلته:

١- قول الله تعالى: {لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ

---

[1] انظر الإتقان في علوم القرآن ١٧٣٣/٥.

[2] انظر أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية د. حسن طبل ص١١٦

بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ}[النور: ١٢].

يعاتب الله سبحانه وتعالى عصبة الإفك من المؤمنين ويعنفهم على تصديق وتناقل حديث الإفك على أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة –رضي الله عنها– قائلاً لهم: هلاّ إذ سمع المؤمنون والمؤمنات خبر الإفك على أم المؤمنين وصفوان –رضي الله عنهما– ظنوا سلامة المفترى عليهما من الفاحشة وأحسنوا بهم الظن وبادروا لإنكار هذا الإفك بقولهم: (هذا إفك مبين) أي كذب واضح.

ونلاحظ في الآية الكريمة أن الله –سبحانه وتعالى– عدل من أسلوب الخطاب بالضمير إلى أسلوب الغيبة بالاسم الظاهر، وكان مقتضى الظاهر أن يقول: (لولا إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيراً وقلتم هذا إفك مبين)، ولعل الغرض البلاغي في ذلك –والله أعلم– هو المبالغة في توبيخهم؛ فصرح بوصف الإيمان لإشعارهم بأن مقتضى الإيمان هو إحسان ظن المؤمن والمؤمنة بإخوانهم المؤمنين وأخواتهم المؤمنات، والكف عن الطعن فيهم والذب عنهم وعدم تصديق قول الطاعن فيهم، وأن الأصل السلامة فلا يزول بشك أو إشاعة مغرضة، وفيه تعريض بأن سوء الظن ليس من خصال أهل الإيمان.

قال الزمخشري –رحمه الله– مبيناً الحكمة في الالتفات في هذه الآية الكريمة: (ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الإيمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتض أن لا يصدّق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن، وفيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قالة في أخيه أن يبني الأمر فيها على الظن لا على الشك، وأن

يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير "هذا إفك مبين")[1].

٢- قول الله تعالى: {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}[النحل: ١].

في هذه الآية الكريمة يخاطب الله الكفار بأن العذاب الذي يستعجلون به استهزاءً وتكذيباً آت لا محالة، ولذلك عبر بالماضي عن المستقبل لقرب وتحقق وقوعه، وقال لهم: لا تطلبوا تعجيله قبل أوانه، ثم التفت أسلوب الآية الكريمة من الخطاب إلى الغيبة عند تنزيه الله تعالى لنفسه الشريفة عن هذا الشرك فقال تعالى: {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}، وكان مقتضى الظاهر أن يقول: (سبحانه وتعالى عما تشركون)، ولعل الغرض البلاغي في هذا الالتفات -والله أعلم- هو الإعراض عنهم وتنزيل شرف الخطاب عنهم إلى الغيبة لقبيح صنعهم وهو الشرك بالله تعالى وتكذيب وعده ووعيده والاستمرار على هذه القبائح.

قال أبو السعود العمادي -رحمه الله-: (والالتفاتُ إلى الغَيبة للإيذان باقتضاء ذكرِ قبائحِهم للإعراض عنهم وطرحِهم عن رتبة الخطاب، وحكايةِ شنائعهم لغيرهم)[2].

وقال ابن عاشور: (فعدل عن الخطاب ليختص التبري من شأنهم أن ينزلوا عن شرف الخطاب إلى الغيبة)[3]

٣- قول الله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ

---

(١) الكشاف ٦٥/٣، وانظر أنوار التنزيل ص٤٦٤، البحر المحيط ٣٩/١٦، التحرير والتنوير ١٧٤/١٨

(٢) إرشاد العقل السليم ٢٣٤/٣.

(٣) التحرير والتنوير ٩٨/١٤.

يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ...}[البقرة: ١٤٣].

يخبر الله –سبحانه وتعالى– في هذا الجزء من الآية القرآنية الكريمة أنه ما جعل تحويل القبلة من بيت المقدس القبلة الأولى التي كان النبي –صلى الله عليه وسلم– عليها إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة إلا ليعلم –علم ظهور يترتب عليه الجزاء–من يسلم ويذعن لهذا الأمر الرباني الكريم ويتبع رسوله –صلى الله عليه وسلم–، ومن يرتد عن دينه ولا يسلم لهذا الأمر الرباني الكريم، ونلاحظ في هذه الآية الكريمة التفات من الخطاب إلى الغيبة، ففي بداية الآية يخاطب الله تعالى رسوله –صلى الله عليه وسلم– في قوله: {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا}، ثم بعد ذلك التفت أسلوب الآية الكريمة إلى الغيبة فقال تعالى: {إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ}، وكان مقتضى الظاهر أن يستمر أسلوب الآية على الخطاب فيقول: (إلا لنعلم من يَتَّبِعُكَ ممن ينقلب على عقبيه)، ولعل الغرض البلاغي في هذا الالتفات –والله أعلم– هو التنبيه على سبب اتباع النبي –صلى الله عليه وسلم– في قبلته، وهو كونه رسول الله سبحانه وتعالى حقاً، لا يشرِّع إلا ما أمره الله تعالى، فالرسول مُبلِّغ عن الله تعالى..

قال أبو السعود العمادي –رحمه الله–: (والالتفاتِ إلى الغيبة مع إيراده –عليه السلام– بعنوان الرسالة للإشعار بعلة الاتباعِ)[1].

النوع الخامس

الانتقال من الغيبة إلى التكلم

ويقصد بهذا النوع أن يكون السياق جارياً على أسلوب الغيبة باستخدام

---

[1] إرشاد العقل السليم ٢٧٨/١، وانظر روح المعاني للآلوسي ٥/٢.

أحد ضمائرها كالهاء أو الياء أو غيرهما، ثم يتحول الأسلوب في جملة أخرى إلى التكلم، فيكون الغائبُ المتُحَدَّثُ عنه في السياق أولاً حاضراً مُتكلِّماً عن نفسه في الجملة الثانية.

وهذا النوع موجود بكثرة في القرآن الكريم، ومن أمثلته:

١- قول الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام: ٩٩].

يذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة وما قبلها من آيات بعضاً من مظاهر عظمته وبديع خلقه ومنها إنزال الماء من السماء وكل ذلك بأسلوب الغيبة ثم لما أراد ذكر إخراج النبات من الأرض بسبب الماء الذي أنزله من السماء التفت بالأسلوب من الغيبة إلى التكلم فقال: {فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ}، وكان مقتضى الظاهر أن يقول: (فأخرج به نبات كل شيء)، ولعل الحكمة والغرض البلاغي في ذلك –والله أعلم– أنه ذكر الرزق بأسلوب التكلم ليحدث إيقاظاً عند السامع في هذا الموضع ليشعره بالعناية به من خلال توفير رزقه، وليذكّره بعظيم منته عليه؛ لأن إخراج النبات من الأرض ضرب من قسمة الأرزاق التي تتوق لها النفوس وتشغل تفكير العقول، فهي عظمة للخالق محسوسة يراها جميع الناس ويحتاجون إليها لا يشاركه فيها أحد، وهي تدل دلالة عظيمة على استحقاقه للعبادة دون ما سواه؛ لأن غيره لا يرزق ولا ينزل الماء من السماء ولا يخرج شيئاً من الأرض: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ}؛ ولذلك ناسب أن ينقل الإسناد إلى ضمير العظمة العائد إليه سبحانه وتعالى، وكذلك إذا أطاعته السماء على عظمتها بإنزال الماء، وأطاعته الأرض على صلابتها بإخراج النبات،

أفلا يطيعه الإنسان الضعيف الذي يعيش برزق الله فيذعن له بالتوحيد وينقاد له بالطاعة؟!!

قال الزمخشري –رحمه الله–: (انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتنان والإيذان بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لأمره وتذعن الأجناس المتفاوتة لمشيئته لا يمتنع شيء على إرادته، وفيه تخصيص أيضاً بأنا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة أحد)[١].

وقال الشوكاني –رحمه الله–: (وفي: {فَأَخْرَجْنَا بِهِ} التفات من الغيبة إلى التكلم؛ إظهاراً للعناية بشأن هذا المخلوق وما ترتب عليه)[٢].

٢- قول الله تعالى: {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} [النحل: ٥١].

في هذه الآية القرآنية الكريمة يقول الله تعالى لعباده: لا تتخذوا معبودين اثنين، إن المعبود الحق واحد لا شريك له، ثم ينتقل من أسلوب الغيبة إلى التكلم فيقول: {فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}، وكان مقتضى الظاهر أن يقول: (فإياه فارهبوه)، ولعل الحكمة والغرض البلاغي في هذا الالتفات هو المبالغة في الترهيب والتخويف وهزّ أفهام المخاطبين والتصريح بالمقصود، فكأنه قال: فأنا ذلك الإله الواحد الذي يستحق أن يعبد دون ما سواه فإياي فارهبون لا غيري[٣]. –والله أعلم–.

---

(١) الكشاف ٤٣٦/٢، وانظر البحر المحيط ٧٢/١٥، التحرير والتنوير ٢٣٧/١٦-٢٣٨.

(٢) فتح القدير ١٨٧/٢.

(٣) أنوار التنزيل ص٣٥٨.

وما أجمل ما قاله أبو السعود العمادي –رحمه الله–: (التفاتٌ من الغيبة إلى التكلم لتربية المهابةِ وإلقاءِ الرهبة في القلوب ولذلك قدّم المفعولَ وكرر الفعلَ أي إن كنتم راهبين شيئاً فإياياَ فارهبون لا غير فإني ذلك الواحدُ الذي يسجُد له ما في السموات والأرض)[1].

٣- قول الله تعالى: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [فصلت: ١٢]

في هذه الآية وما قبلها من آيات تكلم الله –سبحانه وتعالى– عن مظاهر عظمته في خلق السماوات والأرض بأسلوب الغيبة ثم لمّا جاء لذكر تزيين السماء الدنيا بالنجوم التفت في الأسلوب من الغيبة إلى التكلم فقال: {وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا}، وكان مقتضى الظاهر أن يقول: (وزيَّنَ السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً) على أسلوب الغيبة على نسق الكلام قبله، ولعل الحكمة والغرض البلاغي في ذلك –والله أعلم بأسرار كتابه– هو التنبيه على عظمة الخالق –سبحانه وتعالى–، فنجوم السماء يعرف عظمتها الإنسان لأنه يحتاج إليها ويستخدمها باستمرار للاهتداء بها في ظلمات البر والبحر ومعرفة فصول السنة، وهي تزين السماء الدنيا أيضاً، فهي عظيمة لا يخلقها ويوجدها إلا من اتصف بكمال العظمة، ولا يملك الإنسان العاقل المنصف إلا أن يذعن لهذا الخالق العظيم بالتوحيد الخالص، ونبذ المعبودات الأخرى التي تُعبد من

---

[1] إرشاد العقل السليم ٢٧١/٣، وانظر الكشاف ٣٣٢/٢، أنوار التنزيل ص٣٥٨، البحر المحيط ٣٧٣/١٣، حاشية الصاوي على الجلالين ٣١٤/٢، التحرير والتنوير ١٧٤/١٤.

دونه؛ لأنها لا تخلق شيئاً بل هي كلها مخلوقة بخلق الله العظيم لها، قال الله تعالى: {أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ}[الأعراف: ١٩١]، وقال تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا}[الفرقان: ٣].

قال ابن عاشور –رحمه الله– مبيناً الحكمة في هذا الالتفات بعد ذكره للحكمة العامة بتجديد نشاط السامع: (ولإظهار العناية بتخصيص هذا الصنع الذي ينفع الناس ديناً ودُنيا وهو خلق النجوم الدقيقة والشهب بتخصيصه بالذكر من بين عموم {وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا}، فما السماء الدنيا إلا من جملة السماوات، وما النجوم والشهب إلا من جملة أمرها)[1].

وذكر الزركشي– رحمه الله– غرضاً آخر من هذا الالتفات في الآية الكريمة، وهو أنه قبل موضع الالتفات قصد بيان عظمته وقدرته بإيجاد وخلق هذه المخلوقات العظيمة في مدة يسيرة جداً فقال: {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا} [فصلت: ٩–١٢]، ثم لما ذكر تزيين السماء الدنيا بمصابيح وجعلها حفظاً وقصد بذلك الإخبار مطلقاً من غير قصد بيان مدة الخلق بخلاف ما قبله: التفت

---

[1] التحرير والتنوير ٢٥١/٢٤ بتصرف يسير.

من أسلوب الغيبة إلى التكلم فقال: {وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا}[1].

النوع السادس

الانتقال من الغيبة إلى الخطاب

ويقصد بهذا النوع أن يكون السياق جارياً على أسلوب الغيبة باستخدام أحد ضمائرها كالهاء أو الياء أو غيرهما، ثم يتحول الأسلوب في جملة أخرى إلى الخطاب باستخدام أحد ضمائره كالكاف أو التاء أو غيرهما، فيكون الغائب المتُحَدَّثُ عنه في الجملة الأولى حاضراً مُخاطباً يوجه إليه الكلام في الجملة الثانية.

وهذا النوع موجود بكثرة في القرآن الكريم، ومن أمثلته:

١- قول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[التوبة: ١١١].

في هذه الآية القرآنية الكريمة يبين الله تعالى التجارة الرابحة بين المؤمنين وربهم، بأن من جاهد في سبيله تعالى وباع نفسه لله –عزو جل– فإن الله يشتريها بعظيم الأجر والثواب، وجاءت البشارة على وزن استفعل، وليست هنا للطلب بل بمعنى أفعل كما يقال: استوقد ناراً واستهدى مالاً واستدعى نصراً، بل هو كعجب واستعجب[2]، وعندما أراد الله تعالى أن يبشرهم بربح البيع في هذه الآية القرآنية الكريمة التفت

---

[1] انظر البرهان في علوم القرآن ٤١٤/٣.

[2] انظر المحرر الوجيز ٤١٧/٤، البحر المحيط ٤٤١/١١.

أسلوب الآية من الغيبة إلى الخطاب فقال تعالى: {فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ}، وكان مقتضى الظاهر أن يستمر الأسلوب على الغيبة فيقول: (فليستبشروا ببيعهم الذي بايعوا به)، ولعلّ الحكمة والغرض البلاغي في هذا الالتفات هو تشريف هذه الثلة المؤمنة بمخاطبتها مباشرة من العظيم –سبحانه وتعالى– وزيادة عناية بهم؛ لأنها باعت نفسها له –سبحانه وتعالى– فجاهدت في سبيله، واسترخصت أرواحها في ذلك، وكذا عنصر المفاجأة بالبشارة وتحويل الأسلوب فيها من الغائب إلى الخطاب المباشر مما يزيد الفرح والسرور.

قال أبو حيان الأندلسي –رحمه الله–: (خاطبهم على سبيل الالتفات لأنّ في مواجهته تعالى لهم بالخطاب تشريف لهم، وهي حكمة الالتفات هنا)[1].

٢– قول الله تعالى: {وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ}[يوسف: ١٠٩].

في هذه الآية القرآنية الكريمة يتكلم الله –سبحانه وتعالى– عن الكفار الذين كذبوا رسوله داعياً إياهم إلى السير في الأرض وتأمل أحوال المكذبين لرسل الله –سبحانه وتعالى– وكيف كانت نهايتهم لما كذبوا الرسل فيعتبروا بهم، وبيّن أن ما في الدار الآخرة من النعيم المقيم خير للذين اتقوا الله باجتناب الشرك ولزوم التوحيد واتباع الرسل، ثم التفت أسلوب الآية القرآنية من الغيبة إلى الخطاب فقال الله تعالى مخاطباً

---

[1] البحر المحيط ٤٤١/١١، وانظر الدر المصون ١٢٨/٦، إرشاد العقل السليم ٦٠٩/٢.

هؤلاء المكذبين للرسول –صلى الله عليه وسلم–: {أَفَلا تَعْقِلُونَ}، وكان مقتضى ظاهر الآية أن يستمر الأسلوب على الغيبة: (أفلا يعقلون)، ولعل الحكمة والغرض البلاغي في ذلك –والله أعلم– هو أنه تكرر ذكر المكذبين للنبي –صلى الله عليه وسلم– كثيراً في الآيات التي قبلها، قال الله تعالى: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢) وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣) وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (١٠٤) وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦) أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٠٧) قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا} [يوسف: ١٠٢–١٠٩]، فلما تكرر ذكرهم صاروا كأنهم حاضرون فخاطبهم الله تعالى مباشرة بقوله: {أَفَلا تَعْقِلُونَ}.

قال ابن عاشور –رحمه الله–: ({أَفَلا تَعْقِلُونَ} بتاء الخطاب على الالتفات؛ لأن المعاندين لما جرى ذكرهم وتكرر صاروا كالحاضرين فالتفت إليهم بالخطاب)[1].

٣– قول الله تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩)} [مريم: ٨٨–٨٩].

---

[1] التحرير والتنوير ٦٩/١٣.

في هاتين الآيتين القرآنيتين الكريمتين وما قبلها من آيات يذكر الله شناعة فعل الكفار، كل ذلك بأسلوب الغيبة، ومنها هذه الدعوى الشنيعة بأن الرحمن –جل جلاله– اتخذ ولداً، ثم يلتفت الأسلوب القرآني من الغيبة إلى الخطاب عند الرد على هذه الفرية، فيقول –جل وعلا– {لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا} أي منكراً عظيماً، وكان مقتضى الظاهر أن يقول: (لقد جاؤوا شيئاً إداً)، ولعل الغرض البلاغي في هذا الالتفات –والله أعلم– هو المبالغة في التوبيخ والتشنيع والتقبيح لجرأتهم في نسبة هذه الفرية العظيمة للخالق العظيم الذي لا يحتاج أحداً، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً، (كأنه يخاطب قوماً حاضرين بين يديه منكراً عليهم وموبخاً لهم)[1]، ثم يكمل السياق القرآني الرد على باطلهم بعد أن أدى أسلوب الالتفات هذا المعنى الجليل فيقول تعالى: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥)} [مريم: ٩٠-٩٥].

قال أبو السعود العمادي –رحمه الله–: (ردٌّ لمقالتهم الباطلة، وتهويلٌ لأمرها بطريق الالتفاتِ المنبئِ عن كمال السخطِ وشدةِ الغضب المُفصِح عن غاية التشنيعِ والتقبيحِ، وتسجيلٌ عليهم بنهاية الوقاحةِ والجهل والجراءة)[2].

---

[1] المثل السائر ٥/٢، وانظر البرهان في علوم القرآن ٤١٥/٣.

[2] إرشاد العقل السليم ٦٠٦/٣، وانظر الكشاف ٤٢٤/٢، أنوار التنزيل ص٤١٢، البحر المحيط٤٩٥/١٤.

وقال ابن عاشور –رحمه الله–: (فهو التفات لقصد إبلاغهم التوبيخ على وجه شديد الصراحة لا يلتبس فيه المراد)[1].

[1] التحرير والتنوير ١٧٠/١٦.

الخـــــــاتمـــــــة

في ختام هذا البحث أحمد الله -سبحانه وتعالى- على إتمامه، ولا أدّعي الكمال فيه، بل هو عمل بشري لابد وأن يعتريه القصور، وأستغفر الله من كل خلل وخطأ.

وأبرز ما توصلت إليه من نتائج:

١- أسلوب الالتفات يختزل معاني عظيمة في التحويل بين الضمائر.

٢- أسلوب الالتفات في القرآن الكريم من الأساليب البلاغية التي تدل على روعة بلاغته وإعجازه.

٣- أسلوب الالتفات موجود بكثرة في القرآن الكريم.

٤- نوعين من أنواع الالتفات يندر وجودهما في القرآن الكريم، بل ينعدم وجودهما عند بعض العلماء وهما: الالتفات من التكلم إلى الخطاب وعكسه؛ نظراً للتباين التام بين موقفي التكلم والخطاب، فيبعد أن يكون الواحد متكلماً ومخاطباً في نفس الوقت.

٥- تشترك كل مواضع الالتفات في القرآن الكريم بالغرض البلاغي العام.

٦- يختص كل موضع من مواضع الالتفات في القرآن الكريم بغرض بلاغي خاص به.

٧- قد يكون للموضع الواحد من مواضع الالتفات أكثر من غرض بلاغي خاص.

٨- الأغراض البلاغية الخاصة للالتفات في القرآن الكريم موضع اجتهاد بين أهل العلم، فقد يتبين لأحدهم ما لا يتبين للآخر، والمجال لا يزال مفتوحاً لاستخراج أغراض بلاغية خاصة جديدة لمواضع الالتفات

في القرآن الكريم.

٩- السياق ركيزة أساسية لمعرفة الأغراض البلاغية الخاصة للالتفات في الآيات القرآنية الكريمة واللغة العربية.

١٠- من أكثر المفسرين اهتماماً ببيان الأغراض البلاغية للالتفات: جار الله الزمخشري، وأبو حيان الأندلسي، والسمين الحلبي، وأبو السعود العمادي، ومحمد الشوكاني، ومحمود الآلوسي، والطاهر ابن عاشور -رحمهم الله تعالى-.

ومن أبرز من أوصي به الباحثين: ضرورة العناية ببلاغة أساليب القرآن الكريم بحثاً ودراسة واستخراجاً لأغراضها وأسرارها البيانية، فلا يزال المجال مفتوحاً، وكم ترك الأول للآخر.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين

فهرس المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف-المدينة المنورة، (د. ط.) ١٤٢٦هـ.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود محمد العمادي، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة-الرياض، (د. ط.)، (د. ت.).

٣. أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د. حسن طبل، دار الفكر العربي-القاهرة، ط١، ١٩٩٨م-١٤١٨هـ.

٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين عبدالله البيضاوي، دار الفكر-دمشق، (د. ط.)، (د. ت.).

٥. الإيضاح في علوم البلاغة، لجلال الدين الخطيب محمد القزويني، شرح وتحقيق: أ.د. محمد عبدالمنعم خفاجي، مكتبة المعارف-الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

٦. البحر المحيط، لأثير الدين أبي حيان الأندلسي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار الرسالة العالمية-دمشق، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

٧. البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد الزركشي، تحقيق: د. زكي محمد أبو سريع، دار الحضارة-الرياض، ط٢، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٨. البلاغة العربية، لعبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم-دمشق، ط٤، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

٩. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون-

تونس، (د. ط.)، (د. ت.).

١٠. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، لمحمد ضياء الدين ابن الأثير الجزري، تحقيق: د. مصطفى جواد و د. جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي-بغداد، (د. ط.)، ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م.

١١. حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، لأحمد الصاوي، (د.ب)

١٢. خصائص التراكيب، أ.د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة-القاهرة، ط٤، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٣. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف السمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد الخراط، دار القلم-دمشق، ط٣، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

١٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمود شهاب الدين الآلوسي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، (د. ط.)، (د. ت.).

١٥. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم وحقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة العلوي، مكتبة المعارف-الرياض، (د. ط.)، (د. ت.).

١٦. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لبهاء الدين أحمد السبكي، مطبعة عيسى الحلبي-القاهرة، ضمن شروح التلخيص، (د. ط.)، (د. ت.).

١٧. عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، للشهاب الخفاجي، دار إحياء التراث العربي و مؤسسة التاريخ العربي-بيروت، (د. ط.)، (د. ت.).

١٨. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير،

لمحمد بن علي الشوكاني، مؤسسة الريان–بيروت، ط٣، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م.

١٩. الفلك الدائر على المثل السائر، لعز الدين عبدالحميد المعروف بابن أبي الحديد، تحقيق: د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة، دار الرفاعي–الرياض، ط٢، ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م.

٢٠. القاموس المحيط، لمجد الدين محمد الفيروزآبادي، موسسة الرسالة ناشرون–دمشق، ط٣، ١٤٣٣هـ–٢٠١٢م.

٢١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجارالله محمود الزمخشري، دار المعرفة–بيروت، (د. ط.)، (د. ت.).

٢٢. لسان العرب، لمحمد بن مكرم ابن منظور، مطبعة بولاق–القاهرة، (د. ط.)، ١٣٠٨هـ–١٨٩١م.

٢٣. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين نصرالله بن محمد ابن الأثيرـ تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية–بيروت، ط١، ١٤١١هـ–١٩٩٠م.

٢٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبدالحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: الرحالة الفاروق وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامة بقطر–الدوحة، ط٢، ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م.

٢٥. مختصر المعاني، لسعد الدين مسعود التفتازاني، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية–القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ–٢٠٠٩م.

٢٦. مفاتيح الغيب، لمحمد فخر الدين الرازي، دار الفكر–بيروت، ط١، ١٤٠١هـ–١٩٨١م.

٢٧. مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل–بيروت، (د. ط.)، ١٤٢٠هـ–

١٩٩٩م.

٢٨. موجز البلاغة، لمحمد الطاهر ابن عاشور، دار أضواء السلف- الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.